Issn:2572-0023

سياسة إقامة المحتشدات ومراكز التعذيب في منطقة الرمشي ما بين (1955-1962)

د/ فطيمة مطهري
جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان-

الملخص:

يتضمن هذا المقال الأساليب والخطط الجهنمية التي انتهجتها فرنسا في الجزائر والمتمثلة في سياسة التعذيب لإذلال وإخضاع الشعب الجزائري من جهة، وإحكام قبضتها وسيطرتها على التراب الوطني من جهة أخرى، ولإنجاح مخططاتها العسكرية، توسعت في إنشاء مراكز التعذيب وإقامة المحتشدات والمعتقلات ومنها محتشدات معمل "فارسال" بالرّمشي سنة 1956 وسيدي أحمد سنة 1955، ومحتشد حجرة القط (قرية فاطمي العربي حاليا) سنة 1956 ومراكز التعذيب مثل مركز حمام الشهداء سنة 1956 ومركز بيران (مزرعة عبد الجليل حاليا) سنة 1956 بالرّمشي والتي سنحاول من خلال شهادات حية الكشف عن بعض جوانب السياسة الفرنسية الظالمة وانعكاساتها على منطقة الرّمشي وعلى تطور الكفاح الثوري والعمليات العسكرية بهذه الناحية.

الكلمات المفتاحية: المحتشدات، مراكز التعذيب، المعتقلات، الرمشي.

Abstract:

This article contains the hellish methods and plans pursued by France in Algeria which includes the policy of torture to humiliate and subdue the Algerian people on one hand, and force the grip and control on the national territory, on the other hand, and for the success of the military plans, France expanded in the creation of torture centers and the establishment of camps and detention centers such as "VARSAL" center in REMCHI 1956 and SIDI Ahmed in 1955, and the camp in HADJRAT Al Gat (village FATMIARABI actually) in 1956 and torture centers such as HAMMAM Al CHOHADA Center in 1956 and Perrin Center (farm Abdul JALIL actually) in 1956 in REMCHI which We will try through live testimonies to disclose some aspects about the unjust French policy

and its impact on REMCHI area and on the evolution of the revolutionary struggle and military operations in the region.

les mots clés:

Centres de torture, Les détenus, Al-Ramshi.

مقدمة:

نبدأ هذا المقال بوصف عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين الحامل لأعلى الشهادات الفرنسية للطرح الدائر بين الحق و الباطل وبين الظالم و المظلوم أي بين فرنسا الجزائر فيقول: "فهذه أمة يقال أنها بلغت من الحضارة أرقى مترلة، تقترف ألوانا من الآثام و فنونا من الجرائم لا نعرف أن الحيوان الذي بلغ أقصى ما يمكن أن يبلغ من التوحش يأتي بمثلها أو بقريب منها، فالسباع الضارية إنما تستجيب إلى غرائزها، فإذا ما أرضت هذه الغرائز هدأت و اطمأنت إلى حين وليس لها قلوب تحس ولا عقول تفرق بين الحسن والقبيح ولا ضمائر تنكر الجور وتثور على الاسراف فيه، ولكن هذه الأمة الراقية الممتازة في الحضارة المتفوقة في العلم والأدب والفلسفة والفن، المترفة إلى أبعد غايات الترف ترى حكومتها ونوابها وجيشها يقترفون هذه الآثام و يورطون أنفسهم و أمتهم في هذه الجرائم". وأغرب من هذا أن هذه الآثام والجرائم لا تقترف في يوم من الأيام ثم يمضي بها الزمان ويسترها النسيان عن الضمائر والقلوب وإنما تقترف في كل يوم وفي كل لحظة منذ أكثر من ثلاثة أعوام دون أن تستيقظ الضمائر النائمة أو تألم القلوب القاسية[1].

لقد شهد شاهد من أهل ثقافة فرنسا على وحشيتها، و هو الذي طالما أعجب بأدباء و فلاسفة الأنوار من أمثال "فيكتور هيقو"، "فولتير"، "راسين"، مونتسكيو"، "ديكارت"، "سان سيمون"، هؤلاء الذين طالما تغنوا في انتاجهم بحقوق الانسان، فأثمر انتاجهم عكس ما أرادوا مجسدا في "صالان"، "ماسو"، "بيجار"، "سوستيل"، "لاكوست"، وباقي زبانية القمع و التعذيب في الجزائر، فقد أخضع الدكتور طه حسين كل هذه الأعمال الاجرامية الفرنسية في الجزائر، لمنطق العقل وقانون العدل، فخرج بهذه النتيجة: "فيجب أن يكون انصاف المظلوم، وإعانة الضعيف أحب إلينا من أنفسنا، وآثر عندنا من هذه الحياة البليدة التي ترى النفوس تزهق، والدماء تراق، والحرية تهدر، والكرامة تهان، فلا تغضب لذلك ولا تحاول تغييره"[2].

ومن هذا الوصف الأدبي ندرك أن فرنسا صاحبة الثورة الفرنسية والشعارات الإنسانية والنبيلة، والحرية والأخوة والمساواة، تنفذ في الجزائر أبشع الجرائم في حق البشرية، قتلت وأبادت وشردت الأبرياء ودمرت مدنا وقرى بأكملها، وتعدت على حرمات المقدسات الدينية مستعملة في ذلك كل الوسائل و الطرق حتى الأسلحة المحرمة دوليا كالنبالم والأسلحة الكيماوية والجرثومية والتي لا زالت آثارها حتى اليوم مثل أمراض السرطان والعجز الكلوي والسكري والاختلالات في النشاط الانزيمي و الكبدي والإصابة بعتمة عدسة العين و التشوهات الخلقية للمواليد وحالات العقم، وفي الزراعة وباء دخيل هو البيوض الذري[3]. ومن أبشع الجرائم سياسة التعذيب الذي مارسته فرنسا على الجزائريين بهدف تفكيك النسيج الشعبي المدعم للثورة بشريا ولوجيستيكيا أولا ثم الوصول إلى القواعد العسكرية للمجاهدين وتشتيتها4. ومن الجدير بالملاحظة أنه بعد نوفمبر 1954 تفاقم القمع إلى أبعد الحدود واتخذ طابعا بوليسيا صرفا مستغلا في ذلك القوائم القديمة للمشتبه فيهم، حيث قامت الشرطة باعتقالات متتالية لكامل أعضاء MTLD للحصول على أسرار ومعلومات عن الجبهة، إذ كان لا مناص من استنطاق السجناء عن طريق التعذيب من لدن الجيش والشرطة معا[5].

وتجاه السيل الجارف من المعتقلين كان لا مناص من التفكير في انشاء مراكز لاستقطاب الأعداد الهائلة وفقا لخصوصية كل مركز كالسجون والمعتقلات والمحتشدات ومراكز العبور والانتقاء وحتى داخل مؤسسات وحدات الجيش الفرنسي[6].وما يخصنا في هذا المقال هو سياسة إقامة المحتشدات والتي توسع نطاقها بعد انتشار الثورة سنة 1956 حيث حشد فيها 2,3 مليون جزائري[7]، وفي هذه المحتشدات كانت تخصص مراكز للتعذيب والاستنطاق، ومن المناطق التي شهدت هذه الممارسات، منطقة الرّمشي وهي إحدى نماذج مراكز التعذيب الكثيرة في مختلف مناطق التراب الوطني. فما هي أهم المحتشدات ومراكز التعذيب بالمنطقة؟ وما هي الطرق والوسائل التي انتهجتها فرنسا في هذه المراكز؟ وما هي آثارها النفسية والجسدية على المعذبين؟ وقبل الإجابة على هذه التساؤلات علينا التعريف

بمنطقة الرّمشي وكذا مصطلح المحتشدات وإبراز الفرق بينه وبين مصطلحات أخرى كالمعتقلات والسجون ومراكز العبور وغيرها.

1- التعريف بمنطقة الرّمشي

أسست الرّمشي على موقع بحيرة قرار موطن الإنسان الحجري حيث تم العثور على بقايا إنسان ما قبل التاريخ على الضفة اليمنى لوادي سكاك وضفة بركة قرار المتواجدة بسيدي أحمد على كيلومتر واحد جنوب شرق الرّمشي من قبل الرماشة النازحين رفقة الأمير عبد القادر من معسكر بعد معاهدة تافنة، 1837/05/30 حيث منح ثلثي الإقليم الجزائري واعترف به كسلطان العرب، وحسب بعض الشهادات الحية، أن أصل السكان الأوائل لمدينة الرّمشي هم من بني راشد الذين هم من بني عمومة بني زيان (حسب ابن خلدون) وهم حاليا يملكون أراضي خصبة واسعة في منطقة الرماشة، وكذا اسم خواني النازحين من جنوب المغرب، و يوجد حليا حي "أولاد الخوان" قرب مركز حي الشهداء، وكذا قرية سيدي أحمد (الوالي سيدي أحمد من أولاد الخوان)، وأطلق عليها الاستعمار اسم مونطانياك Montagnac نسبة إلى أحد الضباط المعمّرين الذي قتل قرب سيدي ابراهيم بهنين، ثم تغير هذا الاسم إلى اسم الرّمشي نسبة لدوار قديم يحمل اسم الرماشة وهذا تخليدا للإخوة السبع الذين عرفوا بشجاعتهم إبان الثورة الجزائرية، وجعلها الاستعمار الفرنسي موقعا عسكريا إداريا بإقامة مراكز ومحتشدات سنأتي على ذكرها لاحقا.

وأثناء الثورة وحسب التقسيم العسكري فإن الرّمشي كانت تابعة للمنطقة الثانية من الولاية الخامسة، وهي تقع في الشمال الغربي من الجزائر، شمال ولاية تلمسان وتبعد عنها حوالي 25 كلم وهي واحدة من سلسلة جبال ترارة، يحدها شمالا بلديتا الأمير عبد القادر ووهاصة الغرابة، جنوبا بلدية الحناية، شرقا بلديتا عين يوسف وسبعة شيوخ، وغربا بلديتا بني وارسوس وبني خلاد، تقدر مساحتها ب589كلم^2، وتعتبر ثالث أكبر مدينة بالولاية بعد تلمسان ومغنية، أما البلديات التابعة لها فهي: عين يوسف، بني وارسوس، الفحول وسبعة شيوخ، أما قراها فهي: سيدي أحمد، سيدي بونوار، سيدي الشريف، سيدي علي، فاطمي العربي،

بورواحة عبد السلام، القواسير، تجمع ثلاثة دوائر بعشر بلديات بحكم موقعها الاستراتيجي من الناحية الجغرافية و الاقتصادية (ينظر الخريطة الملحقة). وتشهد المدينة اتساعا متزايدا بساكنة تقدر ب 83522 نسمة على مساحة 146كلم^2. وتتكون الرمشي من طابع جبلي في الشمال والغرب ويقطعها واديان هما وادي تافنة ووادي يسر، وهي ذات طابع فلاحي لكثرة سهولها الخصبة "سهول الرماشة" (تقارير مأخوذة عن بلدية ودائرة الرمشي: نائب رئيس الدائرة، رئيسة مكتب المنازعات، رئيس قسم الإحصاء والسكان).

2-مقارنة المحتشدات بالسجون وغيرها من مراكز التعذيب

يذكر المجاهد محمد طالب أن المحتشدات كانت عبارة عن مساكن أقيمت في مكان حددته السلطات الاستعمارية، بأسلاك شائكة، يقيم فيها جزائريون هجروا غصبا من مساكنهم، وفرضت عليهم الحراسة المشددة بغرض عزلهم عن جيش التّحـــرير الوطنـــيو بالتالي وقف كل أشكال الدعم عنه[8]. أما عبد المالك مرتاض فيعرفه بأنه مستوطنة كانت تضم مواطنين غير مدانين قضائيا تحيط بهم أسلاك شائكة بحراسة مشددة من طرف العدو[9]. أما قدور قريش فيذكر أنه ببني هديل بولاية تلمسان كان جيش التحرير الوطني يلقى كل أشكال الدعم المادي والمعنوي من طرف السكان مما دفع بالقوات الفرنسية إلى جمعهم في مكان واحد وإحاطتهم بالأسلاك الشائكة اعتقادا منها أن هذا الإجراء كفيل بعزل[10] المواطنين عن الثورة، و بالتالي تجويع الثوار والقضاء على المقاومة، لكن ذلك لم يتحقق فالصلة بين الشعب و جيش التحرير ظلت قائمة و بقي العهد بينهم ساريا. أما الدكتور سيد أحمد بلبوري فيذكر أن المحتشدات يتم اختيارها واقامتها وفقا لظروف تطور الثورة وتأثيرها، فتعمد السلطات الفرنسية إلى تجميع سكان القرى والبوادي الممولين للمجاهدين في مواقع قريبة من القرية تحاط بأسلاك شائكة مكهربة وكذا زرع الألغام والقنابل خلفها[11].

ولتظليل الناس والرأي العام الخارجي، أطلقت الإدارة الفرنسية على هذه المحتشدات الجهنمية اسم "مراكز الإيواء" لكنها كانت من أبشع أنواع المحتشدات[12]، حيث تحيط بها

الأسلاك الشائكة والأضواء الكاشفة ولم يترك لها سوى مدخل أو مدخلان تحت المراقبة المشددة من طرف فرق عسكرية تابعة لفرقة(S)[13]AS ضباط الشؤون الأهلية.

أما السجون، فقد شرعت فرنسا في بنائها كوسيلة جديدة عوضت بها سياسة النفي والإبعاد إلى خارج البلاد لتغطي على جرائمها البشعة، لأن السجون التي أوجدتها بالجزائر تعتبر من أبشع سجون العالم تنظيما وتسييرا ومعاملة، إذ أن الهدف الأول منها هو محو شخصية الجزائري سواء أكان من مجرمي الحق العام أو من المناضلين من اجل القضية الوطنية، بحجة أنّ الجزائري لا يخضع إلا للقوة ولا تنفع معه إلا العصا والسوط[14].

وهنا نجد أن طبيعة السجون في الجزائر، عكست حقيقة الاستعمار الاستيطاني في الجزائر، لأنها كانت تابعة ومسيرة من طرف الأمانة العامة للأمن البوليسي، بينما كانت داخل فرنسا تابعة ومسيرة من طرف العدالة[15]وهذا ما يجعل كل مشتبه فيه يعمل لفائدة الثورة إلا وتعرض للتعذيب من طرف البوليس المختص في الاستنطاق قبل إحالته على العدالة[16].

ومعنى السّجن أو الحبس لفظ عربي قديم[17] وهو بناء مخصّص للمنحرفين، ويتميّز بهندسة معمارية تناسب حجز المعاقبين من أفراد المجتمع، ويبنى عادة من الإسمنت المسلّح، وتوضع على نوافذه شبابيك حديدية وتصنع أبوابه من صفائح الحديد السّميك[18] ولا يدخل هذا البناء المخصّص إلاّ من ارتكب جرما أخلاقيا أو مخالفة اقتصادية أو قتل نفسا، وحكمت عليم المحكمة بما يتناسب والمخالفة الّتي ارتكبها[19] كما يدخل إليه بعض الأشخاص ذوي الاتّجاهات السّياسية المخالفة لاتّجاه الحكم القائم في بلدهم، والسّجين لا يتمتّع بحقوقه المدنية وذلك عقابا له مدّة من الزّمن[20].

كما أقامت فرنسا الاستعمارية السّجون لأهداف وغايات متعدّدة أهمّها ضرب الثّورة وإرغام الشّعب الجزائري على التّخلي عن احتضانها؛ أي عزل الشّعب عن جيش التّحرير الوطني، حيث كانت الأفكار السّائدة وقتئذ لدى المحتلّ تعتقد أشدّ الاعتقاد بأنّه كلّما كان العقاب شديدا ازداد الخوف انتشارا بين الشّعب الجزائري و بذلك يمتنع عن مواصلة الكفاح ويهجرون الثّورة والقائمين بها[21]، إذ أن مفهوم السجن عكس المعتقل تماما فهو يتمتع

بالاستقلال المالي والإداري والاستقرار الدائم كونه يمثل مؤسسة ردع و تأديب، قائمة وثابتة أبد الدهر، إلا أن مفهوم المعتقل وجوده رهين بالحروب والصراع بين الدول، وهو مكان يجمع فيه الناس من جراء انتفاضة أو ثورة أو فوضى طارئة، المقيمون في من ذوي الاتجاهات السياسية والأفكار الحرة المعارضة للدولة، لا يرتدون لباسا موحدا، يخضعون للتعذيب النفسي خاصة، ويتمتعون ببعض الحريات كحركية التنقل وممارسة الرياضة والتعليم وقراءة الصحف والاستماع إلى الراديو بالإضافة إلى عدم تعرضهم للمحاكمة، وبانتهاء الحروب والثورات ينتهي تواجد المعتقلات وتختفي إلى غير رجعة.

فالمعتقلات خصصت للمشبوه فيهم ونظمت من قبل السلطات الخاصة، وتحولت فيما بعد سريا إلى مراكز انتقاء أين يحدث أقسى استنطاق بواسطة التعذيب المتعدد والمتنوع الأساليب الذي فاق في بشاعته النازية وغيرها من مراكز العبور والانتقاء والتي يلاحظ في معظمها وجود قاعات المكتب الثاني deuxième bureau من طرف ضباط الجيش الفرنسي الذين يتمتعون بكامل السلطات، لهم الحق في القتل والإبقاء على حياة المعتقلين، وكذا ما عرف بمزارع الموت والتي تم فيها اختفاء العديد من المجاهدين دون أثر لهم، فكانت محاطة بأسوار عالية وبحراسة مشددة ومساعدة الكلاب الألمانية المدربة لذلك[22].

فبعدما امتلأت السجون بالمناضلين السياسيين عمدت الإدارة الاستعمارية إلى فتح العديد من المحتشدات بداية من صيف 1955 وأصبح في كل ولاية محتشد وأكثر وكانت الولاية الخامسة بنواحيها الواسعة أكثر المناطق زرعا لهذه المحتشدات ومنها منطقة الرمشي (المنطقة الثانية).

3- محتشدات ومراكز التعذيب بمنطقة الرمشي

كان من ردود أفعال الاستعمار على نشاط الثورة بهذه المنطقة الانتقام من مجاهديها ومواطنيها بإحداث محتشدات ومراكز التعذيب ونها23:

- فيما يخص المحتشدات:

البلدية	اسم المحتشد	دوره	تاريخ بداية استعماله
الرّمشي	حجرة القط (قرية فاطمي العربي)	حشد المواطنين فيه	1956
	قرية سيدي أحمد	حشد سكان قرية سيدي أحمد والدواوير المجاورة فيه	1955
	مدينة الرّمشي (حي الشهداء حاليا)	حشد المواطنين فيه	بني سنة 1957 استعمل سنة 1959
	الرمشي (معمل فارسال) (مقاولة أشغال الدائرة حاليا)	حشد المواطنين فيه	1956
سبعة شيوخ	مزرعة بضواحي سبعة شيوخ	حشد مواطني البلدية و المداشر القريبة	1956
بني وارسوس	شمال بني وارسوس	حشد المواطنين فيه	1955
عين يوسف	ضواحي عين يوسف	عزل المواطنين عن الثوار	1956

- أما فيما يخص مراكز التعذيب فنذكر:

البلدية	مكان و اسم المركز	تاريخ بداية استعماله	وضعه الحالي
الرمشي	حمام الشهداء	1956	محل لبيع الحلويات ويقال أنه سيحول إلى متحف
	سيدي بونوار (مزرعة فرسان)	1956	لا يزال على طابعه القديم و به سكنات
	مزرعة بيران- مزرعة عبد الجليل حاليا	1956/10/20	مزرعة
بني وارسوس	سيدي عبد الله	1956	
	سوق الأربعاء	1956	لا زال على حالته
سبعة شيوخ	مزرعة بولفراد	1956	

	مركز سبعة شيوخ	1956	مزرعة "العين" وسكنات (ينظر الملاحق)
عين يوسف	دوماس	1957	
	دار أجدير	1957	
	دار الدرك	1956	

- أما المعتقلات فنذكر منها ما يلي:
  - بني وارسوس: قرية برج عريمة، قرية سوق الأربعاء.
  - سبعة شيوخ: مزرعة بيار 1956، وسط سبعة شيوخ 1956 (الملعب البلدي حاليا).

أما عن أشكال وأساليب التعذيب حسب بعض الشهادات الحية لمن طالتهم تلك الممارسات البشعة ونجملها في النقاط التالية:

- التعذيب بواسطة الكهرباء: هو الأسلوب الأكثر استعمالا لأنه سهل وأكثر نجاعة لأنه يؤدي بالكثير إلى البوح بالمعلومات، ويقول "ماسو" عن التعذيب بالكهرباء: "أنا والبعض من القيادة العليا العسكرية جربنا المولد الكهربائي بمكتبي" ومن جهته "لاكوست" يقلل من آثار التعذيب بالكهرباء و يقول: "ما هي إلا إيصال أسلاك كهربائية فقط"[24]، ومن مدارس العار مدرسة "جان دارك" بسكيكدة التي أنشئت في 11 ماي 1958، وتخرج منها أفواج وفرق للجلادين وزبانية الاستعمار، ومن أكبر الراعين لهذه السياسة في جزائر الثورة، نجد السفاحين "بيجار" الذي عذب الشهيد البطل العربي بن مهيدي في سجنه سنة 1957 حتى استشهاده، والمجرم "جاك ماسو" زعيم الفرقة العاشرة للمظليين الفرنسيين الذي خاض بها حرب مدينة الجزائر في القصبة سنة 1957، بتكليف من أستاذه في القمع والإبادة "روبرت لاكوست"، بحجة اجتثاث الارهاب من مدينة الجزائر[25]، وكان آخر من اعترف بجرائم التيب الفرنسي خلال الثورة، "جون بيير منشوري" في كتابه "لقد عذبنا في الجزائر"، وأقر تلقيهم أوامر باستعمال كل أساليب التعذيب من المجرم السفاح الجنرال "ماسو"، ثم تلته شهادة الجنرال "أوساريس" التي دونها ونشرها قبل بضع سنوات تحت عنوان "شهادتي حول التعذيب مصالح خاصة الجزائر

1957- 1959"[26]، وفيها فصول مروعة تضمنت تفاصيل عن واقع التعذيب ستبقى بلا شك وصمة عار في تاريخ فرنسا الاستعمارية.

ويتم هذا النوع من التعذيب عموما في اللّيل، حيث يعرّى المعذّب ويمدّد على طاولة العمليات، وتربط أعضاؤه ويرمى عليه سطل من الماء لتنغلق الدّارة الكهربائية وفي ذلك الوقت يوضع التّيار الكهربائي في الأماكن حساسية للشّخص-سواء كان رجلا أو امرأة- كالأذن واللّسان[27]،ويمارس كذلك على الأجهزة التّناسلية خاصّة[28]الشّيء الّذي يخلق للمعذّب ألما لا يطاق يعقبه غيبوبة عن الوعي، وقد يكون التّيار الكهربائي قويّا فيسبّب ارتجاج في المخّ[29]، حيث أنّ المعذّب يبقى لوقت طويل تحت طائل الصّداع والدّوار والألم على مستوى العين والمخّ والأسنان والأذنين معا[30]، ونتيجة لهذه المعاملة أزهقت على إثرها الكثير من أرواح المعذّبين وماتوا بهذا التّيار وما زلنا نشاهد حتّى اليوم بعضا من أولئك الّذين تعرّضوا لهذا النّوع من التّعذيب وهم في حالة صحّية يرثى لها[31].

- التعذيب بواسطة الماء: تتمّ عملية التّعذيب باستعمال الماء الوسخ ومياه الغسيل بطرق مختلفة منها غطس رأس المسجون في حوض مملوء بالماء لعدّة دقائق حتّى يمتلئ بطنه ثمّ يخرج رأسه ويطلب منه الاعتراف بالتّهمة الموجّهة إليه[32]أو يملئون بطون السّجين عنوة بأنبوب أو خرطوم حتّى يمتلئ جوفه[33]ويوشك على الاختناق وعندئذ يطلقونه ثمّ يشرعون في وطئه بالأرجل ويأخذ الماء في الخروج من جميع منافذ جسمه[34] كما كان يتمّ غطس المعذّبين في الماء السّاخن لمدّة زمنية معيّنة ثمّ يتمّ نقلهم ووضعهم في الماء البارد مباشرة، وهذا يسبّب آلاما لا تطاق[35]،وتتراوح مدّة التّعذيب بين أربعة ساعات وستّة ساعات في اليوم طول الأسبوع وقد يمتدّ أكثر من شهر، وبعد فترة التّعذيب يحال المقبوض عليهم إلى المحاكم الّتي تقرّر مصيرهم المحتوم، فإمّا الإعدام أو السّجن المؤبّد مع الأشغال الشّاقة[36].

- أساليب أخرى من التعذيب: منها السجن في المطمورة وإلقاء جثث الذين أنهكهم التعذيب، وهذا حسب شهادة المجاهد بن عمار عبد القادر في مركز بسبعة شيوخ حيث وجد أكثر من 120 ضحية في المطمورة[37]، وكذا سلخ الجلود باستعمال الكلاليب والزجاج ووضع الملح

على الجروح بشهادة المجاهد بن سيفي ميلود. حرمان المعتقلين من الطعام والشراب، ورمي الأوساخ والفضلات على المعذبين. قطع رؤوس الشهداء واللعب بها مثل الكرة حيث يذكر في مركز سبعة شيوخ أن الشهيدة بن عمار خليفية "ينظر إلى اللمحة تاريخية حول هذه الشهيدة في قائمة الملاحق" بعد استشهادها في معركة سيدي العبدلي، جاؤوا بها وبآخرين إلى سبعة شيوخ وتم قطع رؤوسهم واللعب بها حسب ما ذكره المجاهد راجع الشريف[38]، وكذا الضرب المبرح بالهراوات والعصي، وهذا ما ذكره المجاهد حاج عبد القادر مصطفى في مركز التعذيب ببرج عريمة[39].

وكل ذلك قليل من كثير من الوسائل والأساليب التي استعملتها وطبقتها إدارة الاحتلال الفرنسي وأعوانها في القمع والتعذيب الوحشي واللا إنساني للثوار و المناضلين وعموم الشعب، وكما لاحظنا فقد تنوعت بين التعذيب المادي الجسدي الذي يلحق الأذى والألم والمعاناة ويترك الآثار والتشوهات والعاهات على جسم الإنسان طول حياته، والتعذيب المعنوي أو الحرب النفسية، وكانت في الغالب تباشر من قبل مختصين في علم النفس والجريمة والأعصاب، تخرجوا من المدارس الخاصة بتدريس فنون التعذيب وأصناف الحرب النفسية، أو من قبل ذوي الخبرة في هذا المجال ممن شاركوا في الحرب العالمية الثانية و حرب الفيتنام، وتمرسوا على صنوف التعذيب والإجرام، وعادة ما يتولى ضباط الشؤون الأهلية (SAS) هذه المهمة القذرة، إلى جانب مساعديهم من الخونة والعملاء، واللفيف الأجنبي من اللقطاء وقطاع الطرق والمرتزقة.

ومن الأساليب المعتمدة في هذا الشأن خلع الملابس ثم الجمع بين المساجين والمعتقلين من الآباء والأبناء والإخوة والأقارب وهم عراة، وكذا الاعتداء على الأعراض (الزوجات، البنات، الأخوات، الأمهات) أمام ذويهم من قبل عساكر الاحتلال و زبانية السجون والمعتقلات...وإهانة المساجين بإحضارهم و ضربهم و البصق على وجوههم وتعريضهم لنهش الكلاب الجائعة والعبث بأعضائهم، وفرض تمثيل أدوار الحيوانات عليهم و التسلي بذلك في

تجمعات في المساحات العامة، وأمام مرأى الجميع...وغيرها من الأفعال الشنيعة التي لم تقل بها لا شرائع السماء و لم تقرها قوانين الأرض، ولا شياطين الإنس والجن!؟![40].

4- شهادات حية عن القمع والتعذيب الاستدماري في مركز حمام الشهداء بالرمشي ومركز سبعة شيوخ

- **مركز حمام الشهداء**[41]: ألقي القبض على زوجي الشهيد يوم الجمعة من شهر ماي 1959، وفي يوم السبت الموالي تم اعتقالي بعد إيجاد رصاص بندقية الصيد بكيس كان مملوء بالقمح وكذا ملابس عسكرية كانت مخبأة في المخدة وسكين في سقف البيت، وأثناء اعتقالي تعرضت للضرب والشتم والخنق للإفصاح عن مهمة زوجي وعن أصحابه، وعن الرصاص والملابس العسكرية من أي جهة تحصل عليها و لمن هي؟ و بعدها أخرجوني حافية القدمين، عارية الرأس وتاركة ورائي طفلا رضيعا "العربي" عمره شهران و أخوه الأكبر "محمد" عمره عامين وأختهما في عمرها عام وشهرين نحو مركز حمام الشهداء، ووضعت في زنزانة ضيقة لوحدي، جدرانها ملطخة بالدماء من أثر التعذيب، فتعرضت للتعذيب بالكهرباء بعد تجريدي من الملابس وتوثيقي من اليدين و الرجلين (و مازالت آثار ذلك خاصة في اليدين)، فصرخت وأجبت "بحق ربي لا أعلم شيئا عن زوجي أو أصحابه" وبعدها وضعت على فمي قطعة قماش مبللة وأنا مستلقية على ظهري، ليصب الماء على وجهي ويتم غلق أنفي حتى أكاد أختنق، وبعد امتلاء البطن بالماء يتم إفراغه بضغط الجلادين على البطن بواسطة الأرجل، ثم التعليق في السقف حتى الإغماء.

استمر بي هذا العذاب حوالي خمسة عشر يوما حتى مرض ثدياي وأصبح لونهما أزرقا وكادا ينفجران بسبب الحليب، فأتوا بالخونة لأرضعهم من أجل افراغهما من الحليب، وبعد ثلاثة أيام أتوني بالطبيب، وهو يفرغ الثدي بالآلة الخاصة بذلك بدأ يتطاير الحليب والدم والصديد، وبعد يومين طلب مني إفراغهما بنفسي، فأصبحت لا أخاف الموت بل أتمناها، خاصة عندما أهدد ويوضع السلاح في عنقي ورأسي، عندها أتمنى لو أرتاح من ذلك العذاب،

أما عن الأكل فهو أرز وخبز مرتين في الصباح والمساء لدرجة أنني كنت ألتقط الفتات من الأرض.

كانت الحالة مزرية في تلك الزنزانة، روائح كريهة، فئران وجرذان في كل مكان، وقضاء الحاجة يكون في الصباح فقط وبقية اليوم كل شيء يكون في الزنزانة، وكان زوجي هو الآخر في نفس المركز، رأيته مرتين يأتي به الجلاد عند الباب ليراني من بعيد ثم يجره. استمر سجني مدة شهرين ليطلق سراحي حافية القدمين، عارية الرأس، وعلي العباءة التي دخلت بها وسخة، ممزقة ورثة، وأكثر من ذلك لا أعرف أي وجهة أتجه إليها وكلي خوف من العودة إلى ذلك المركز وخاصة وأنهم هددوني بذلك، ولكن الله سترني وجاء أحد أقارب زوجي يبدو أن أحد الخونة أخبره بموعد إطلاق سراحي، وبعد الرجوع إلى البيت وجدت أبنائي في حالة يرثى لها، حيث كانت رؤوسهم وأجسامهم مليئة بالقمل بحكم أن جدتهم كانت طاعنة في السن لا تقوى على التكفل بهم.

أما عن زوجي الشهيد فتركته حيّا في المركز ولحدّ الآن لا نعلم عنه وعمّن بقوا في المركز شيئا حيث يقال إنهم وضعوا كلهم أحياء في مطمورة موجودة بالمركز.

- **مركز سبعة شيوخ**[42]: ولدت في 1936/04/27، حفظت القرآن في سن 19 سنة، وبعد اشتداد المعارك بمنطقة سبعة شيوخ خاصة بعد حرق مركز الاستعمار "كور بيار" في ليلة 27 رمضان 1955، في صباح ذلك اليوم حاصر البوليس الفرنسي المنطقة مستعملا الكلاب البوليسية وألقى القبض على كل المشتبه فيهم، خاصة من الشباب، وكنت واحدا منهم. وفي مركز التعذيب تعرضت للتعذيب بالكهرباء بعد تجريدي من الملابس والضرب المبرح بالعصي وتوثيق الأرجل واليدين والتعليق، وأسئلتهم في ذلك من حرق المركز؟؟ من هم سي التاج، براشيد، خميس وسي مرباح، وكان الجواب في كل مرة لا أعلم ولا أعرف، وأذكر أن أحد الخونة بدأ ينصحني بالوشاية بهم ليطلق سراحي، لكني أصررت واحتسبت أمري إلى الله، فقدر لي الفرار من المركز وأصبت بأربع رصاصات في الذراع والكتف الأيمن والرجل وأسفل البطن، واستطعت الوصول إلى منزل النوايسة (أحد مخابئ الثوار).

نقلت إلى "فلاوسن" أين عالجني الممرض سي عبد المجيد وانتزع الرصاصات من جسدي وطلب مني الذهاب إلى المغرب لإتمام العلاج، لكني رفضت، وتذكر زوجته أنها عالجته بالعسل حيث كانت تسكب مقدار كأس في الجرح (أنه أصبح كالحفرة) وذلك استمر لأكثر من شهر. وعشت مرحلة الاستقلال مواطنا بسيطا و لم أحض لحد الآن بالاعتراف الرّسمي بي كمجاهد في الثورة من قبل الجهات الوصية، لكني ادخرت نضالي وجهادي الثوري لعدالة السماء وفي سبيل الله.

خاتمة:

وصفوة القول أن محاولات فرنسا لعزل الشعب الجزائري عن الثورة وقطع كل الإمدادات البشرية والمادية عنها، من خلال إقامة مراكز التعذيب، والزج بالشعب الجزائري داخل السجون والمعتقلات والمحتشدات باءت بالفشل، وهذا راجع إلى سرعة تأقلم وقدرة جبهة التحرير اختراق ومسايرة كل المخططات الجهنمية الهادفة إلى القضاء على الثورة، خصوصا عند تزايد تلاحم وتمسك القاعدة الشعبية بالثورة.

زيادة عن تمكن جبهة التحرير من اقتحام السجون والمعتقلات، بفضل تكوين خلايا وشبكات منظمة بإحكام داخلها، فعملت على تنظيم وتكوين المساجين والمعتقلين سياسيا وثقافيا ودينيا، حتى أصبحت هذه الأخيرة عبارة عن مدارس لنشر الروح الوطنية والمبادئ الثورية بين مختلف فئات الشعب وهذا ما زاد من قوة وعزيمة الشعب في التمسك بالثورة.

كما نخلص من خلال ما سبق إلى أن السياسة المتبعة في مواجهة الثورة التحريرية لم تتغير في طبيعتها وإن اختلفت الوسائل والأساليب المتبعة من الإبادة الجماعية داخل المغارات إلى التعذيب بالنار والكهرباء والإعدام بالمقصلة، فإنها الميزة التي تميزت بها طيلة فترة الاحتلال، حيث تحول التعذيب من رغبة وممارسات إلى هواية وفن عند الجلادين الفرنسيين.

إن سياسة توسع فرنسا في إقامة المحتشدات والمعتقلات، خاصة بعد انتشار الثورة وتنظيمها، لم تتمكن من إخمادها والقضاء عليها أو تكسر من عزيمة المجاهدين، أو تقلل من صمودهم وشجاعتهم بل إنها لم تزدهم إلا قوة وثباتا وتريثا في انجاز العمليات والتخطيط

السليم والمحنك سياسيا وعسكريا ثم تقوية جيش التحرير على جميع الأصعدة والمستويات لإجهاض مخططات فرنسا الاستعمارية.

ومن هنا لا يفوتني أن أشكر الطالبة بن عمار التي ساعدتني بأخذ شهادتي جديها، جدها لأمها المجاهد راجع الشريف، وجدها لأبيها المجاهد بن عمار عبد القادر، وكذا أخذ صور تلك المراكز بسبعة شيوخ والدخول إليها، والتي حولت بدورها إلى سكنات، وأتمنى لها التوفيق والنجاح وأن تواصل في هذا البحث وتسجيل أكبر عدد من الشهادات قبل فوات الأوان من أجل التاريخ والذاكرة التاريخية.

الهوامش:

1- جمعية الأدباء: مع الثورة الجزائرية، تقديم يوسف السباعي، مراجعة عبد الرزاق قسوم، مؤسسة عالم الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1958، ص- ص 10- 18.

2- المصدر نفسه، ص23.

3- والي يوسف، عبد الكاظم العبودي: التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية وتأثيراتها على البيئة والصحة والسكان، التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، دراسات وبحوث وشهادات، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر2000، ص- ص 28- 154.

4- نصر الدين بن داوود: المحتشدات ومراكز التغذية بمنطقة فلاوسن تلمسان، من كتاب سياسة التعذيب الاستعمارية إبان الثورة التحريرية وتداعياتها المعاصرة، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر2006، ص204.

5- سيد أحمد بلبوري: التعذيب وتداعياته وواقع المعتقلات بالغرب الجزائري، من كتاب سياسة التعذيب، المرجع نفسه، ص42.

6- المرجع نفسه، ص43.

7- مختار فيلالي: فرنسا وأساليب القمع والتعذيب الوحشي والحرب النفسية ضمن مخطط القضاء على الثورة الجزائرية، مجلة التراث، عدد 05، شعبان 1422هـ/فيفري 1992، الجزائر، ص56.

8- محمد مصطفى طالب: ولد سنة 1939 قرب قرية بوكانون بلدية مسيردة الفواقة ولاية تلمسان،بعد تعليمه القرآني التحق بمدرسة أحفير بالمغرب فحصل على شهادة التعليم الابتدائي سنة 1954 ليصبح بعد ذلك

مناضلا في صفوف التحرير الوطني ثم يلتحق سنة 1956 بجيش التحرير الوطني بالمنطقة الأولى للولاية الخامسة و منها وجه إلى مركز دار الكبداني ثم بوصافي أين عمل مترجما في فرقة الممرضين، أعيد أواخر 1959 إلى مركز دار الكبداني ليعين محافظا سياسيا عسكريا إلى غاية الاستقلال، حيث غادر الجيش برتبة ضابط،شهادة حية، مسجلة بتاريخ 03 أفريل 2013.

9- عبد المالك مرتاض: دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية1954- 1962، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة الجزائر، د.ت، ص76.

10- محمد، قريش: العهد، ذكريات صالح، قريش قدور، دار القصبة للنشر، الجزائر 2000، ص- ص 170- 171.

11- سيد أحمد بلبوري: المرجع السابق، ص43.

12- أحسن بومالي: إستراتيجية الثورة في مرحلتها الأولى (1954-1962)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،1985، **ص 181.**

13- أحسن بومالي: مراكز الموت البطيء، وصمة عار في جبين فرنسا الاستعمارية، المصادر، الجزائر، ع3 منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2003 ،ص- ص 46-47.

14- أحسنبومالي: أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية الجزائري 1954- 1956، دار المعرفة، الجزائر 2010، ص- ص 378-379.

15- رشيد زبير: جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة 1956- 1962، دار الحكمة للنشر، الجزائر 2010، ص 144.

16- خليفة الجندي وآخرون: حوار حول الثورة، ج3، المركز الوطني للتوثيق، مطبعة الحزب الجزائر 1986، ص 86.

17- عبد المالك مرتاض: المرجع السابق، ص40.

18- محمد الطّاهر عزوي: ذكريات المعتقلين تصور الوحشية الفرنسية والحقد الصليبي في المعتقلات الجزائرية خلال الثورة التحريرية من 1954 إلى 1962، المؤسسة الوطنية للاتّصال والنّشر والإشهار، رويبة، الجزائر، 1996، ص 11.

19- محمد الطّاهر عزوي: المعتقلات في الجزائر أثناء الثّورة التّحريرية ودور ضبّاط الشّؤون الأهلية (لاصاص) في الحرب النّفسية داخل المعتقلات مجلّة التّراث، ع3، باتنة، 1988، ص 73.

20- عابد بلعيد: السّجون والمعتقلات والمحتشدات الفرنسية أثناء الثّورة التّحريرية، المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر 1954، مصلحة البحوث والتّوثيق بالمركز، ماي 1999، ص 4.

21- نور الدّين بليبل: المعتقلات والسّجون الفرنسية- رحلة الآلام والعذاب والموت-، مجلّة الرّاصد، ع1، جانفي 2002، ص 48.

22- سيد أحمد بلبوري: المرجع السابق، ص- ص 44- 45.

23- مديرية المجاهدين لولاية تلمسان، الدليل التاريخي لولاية تلمسان 2011، وأيضا منظمة المجاهدين الكائنة بالرمشي.

24- رشيد زبير: المرجع السابق، ص22.

25- YASSEF SAADI: la bataille d'Alger, tome1, Edition la phonique, Alger ,1986, p- p 247- 391.

26- الجنرال أوساريس ترجمة مصطفى فرحات، شهادتي حول التعذيب، ط1، دار المعرفة، الجزائر2004.

27- بوعلام نجادي: الجلاّدون (1830 – 1962)، تر: محمّد المعراجي، منشورات المؤسّسة الوطنية للنّشر والاشهار، رويبة- الجزائر،2007 ، ص 143.

28- محمّدالدّرعي: فضائح الجيش الفرنسي في الجزائر أثناء الثّورة الجزائرية، مجلّة الرّؤية، تصدر عن المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر 1954، ع3، السّداسي الأوّل، الجزائر، 1997، ص 184.

29- عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ج3، دار البعث للطّباعة والنّشر، قسنطينة، الجزائر، 1991، ص 41.

30- علي خلاصي: أساليب التّعذيب والتّنكيل الّتي مارستها فرنسا ضدّ الشّعب الجزائري (1954 – 1962)، مجلّة التّراث، ع7، باتنة، نوفمبر1954، ص- ص 200 – 201.

31- صغير أحمد: أنواع التّعذيب الجسدي الاستعماري في الجزائر خلال الثّورة التّحريرية الكبرى، الملتقى المغاربي، المرجع السّابق، ص 2.

32- علي خلاصي: المرجع السّابق، ص 199.

33- عبد الكريم بوالصفصاف: حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتّعذيب في ولاية سطيف 1954- 1962، دار البعث للطّباعة والنّشر، قسنطينة، 1998، ص 66.

34- BOUSSELHAM Hamid: quand la France torturait en algerie, Ed: rahma « anep », Alger, juin2001, p182.

35- صغيرأحمد: المرجع السّابق، ص222.

36- الملتقى الجهوي الثّالث لتاريخ الثّورة منطقة الجزائر المستقلّة 1956- 1958، المنظّمة الولائية للمجاهدين لولاية الجزائر، الجزائر، 11–13 ديسمبر 1985، ص12.

37- شهادة حية للمجاهد بن عمار عبد القادر عن طريق مقابلة في بيته بسبعة شيوخ في 2013/04/01.

38- شهادة حية للمجاهد راجع الشريف عن طريق تسجيل صوتي من طرف حفيدته الطالبة بن عمار رحمونة يوم 2013/04/16.

39- المجاهد حاج عبد القادر مصطفى، من مواليد 1925/10/28، من المسبلين، ألقي عليه القبض في 1958/05/01، تعذب في مركز تاجرة ثم في برج عريمة لمدة شهرين بالكهرباء والضرب بالهراوات والعصي، وزوجته معه، والتي عذبت بالماء والصابون، ثم نقل بعدها إلى معتقل "آركول" بوهران إلى غاية 1962، وهو حاليا مبتور اليد اليسرى، شهادة حية للمجتهد بعد مقابلة في بيته بتاريخ 2013/04/06.

40- يوسف قاسمي: نماذج من سياسة القمع والتعذيب الاستعماري في الولاية الأولى التاريخية (أوراس النمامشة)، من كتاب سياسة التعذيب، المرجع السابق، ص- ص 134- 135.

41- مقابلة مع المعتقلة المجاهدة يمينة الشيخ أرملة الشهيد عياشي أحمد، مقابلة في بيتها يوم 2013/04/04 بحي الزيتون بالرمشي بحضور الأستاذة هاشمي مريم، وانتهت المقابلة في نفس اليوم من الساعة الثانية إلى الخامسة مساء.

42- مقابلة بتاريخ 2013/04/01 في بيته بسبعة شيوخ بحضور الطالبة بن عمار رحمونة (السنة الثالثة تاريخ ل.م.د) وكذا زوجته، وانتهت المقابلة في نفس اليوم من منتصف النهار إلى الساعة الثانية بعد الزوال.